

shariatallah.org

الملحق 8ح: الطاعة الجزئية والرمزية المتعلقة بالهيكل

هذه الصفحة جزء من سلسلة تستكشف شرائع الله التي لم يكن من الممكن إطاعتها إلا عندما كان الهيكل قائمًا في أورشليم.

- الملحق 8أ: شرائع الله التي تتطلب وجود الهيكل
- الملحق 8ب: الذبائح — لماذا لا يمكن تقديمها اليوم
- الملحق 8ج: الأعياد الكتابية — لماذا لا يمكن الاحتفال بأيٍّ منها اليوم
- الملحق 8د: شرائع التطهير — لماذا لا يمكن إطاعتها من دون الهيكل
- الملحق 8هـ: الأعشار والبواكير — لماذا لا يمكن تقديمها اليوم
- الملحق 8و: خدمة العشاء الرباني — كان العشاء الأخير ليسوع هو الفصح
- الملحق 8ز: شرائع النذير والنذور — لماذا لا يمكن إطاعتها اليوم
- الملحق 8ح: الطاعة الجزئية والرمزية المتعلقة بالهيكل (هذه الصفحة).
- الملحق 8ط: الصليب والهيكل

من أكبر المفاهيم الخاطئة في الدين الحديث الاعتقاد بأن الله يقبل الطاعة الجزئية أو الرمزية بدلًا من الوصايا التي أعطاها. لكن شريعة الله دقيقة. فكل كلمة، وكل تفصيل، وكل حدٍّ أعلنه الله بواسطة أنبيائه وبواسطة المسيح، يحمل كامل ثقل سلطانه. لا يجوز أن يُضاف شيء، ولا أن يُحذف شيء (التثنية 2:4؛ 32:12). وما إن يقرر المرء أن جزءًا من شريعة الله يمكن تغييره أو تخفيفه أو استبداله أو إعادة تصوره، حتى لا يعود يطيع الله، بل يطيع نفسه.

دقة الله وطبيعة الطاعة الحقيقية

لم يعطِ الله قط وصايا مبهمة. بل أعطى وصايا محددة. فعندما أمر بـالذبائح، أعطى تفاصيل عن الحيوانات والكهنة والمذبح والنار والمكان والتوقيت. وعندما أمر بـالأعياد، حدّد الأيام والقرابين ومتطلبات الطهارة ومكان العبادة. وعندما

أمر بـالنذور، حدّد كيف تبدأ وكيف تستمر وكيف يجب أن تنتهي. وعندما أمر بـالأعشار والبواكير، حدّد ما الذي يُقدَّم وأين يُقدَّم ومن يتلقاه. لم يكن شيء متروكًا للإبداع البشري أو للتفسير الشخصي.

هذه الدقة ليست اعتباطية. إنها تعكس طبيعة من أعطى الشريعة. فالله لا يتصرف بإهمال قط، ولا يكتفي بالتقريب، ولا يترك مجالًا للارتجال. إنه يتوقع الطاعة لما أمر به، لا لما يتمنى الناس لو أنه أمر به.

لذلك، عندما يطيع شخص شريعةً جزئيًا — أو يستبدل الأفعال المطلوبة بأفعال رمزية — فإنه لا يعود يطيع الله. بل يطيع صيغةً للأمر ابتكرها بنفسه.

الطاعة الجزئية هي عصيان

الطاعة الجزئية هي محاولة الالتزام بالعناصر «السهلة» أو «المناسبة» من وصيةٍ ما، مع التخلي عن العناصر التي تبدو صعبة أو مكلفة أو مقيِّدة. لكن الشريعة لا تأتي مجزأة. فالطاعة الانتقائية تعني رفض سلطان الله على الأجزاء التي يجري تجاهلها.

حذّر الله إسرائيل مرارًا من أن رفض أي تفصيل من وصاياه هو تمرد (التثنية 26:27؛ إرميا 3:11-4). وأكّد يسوع الحقيقة نفسها حين قال إن من يهوّن حتى أصغر وصية يُدعى الأصغر في ملكوت السماوات (متى 5:17-19). ولم يمنح المسيح قط إذنًا بتجاهل الأجزاء الصعبة مع الالتزام ببقية الوصية.

من المهم أن يفهم الجميع أن الشرائع التي تعتمد على الهيكل لم تُبطَل قط. لقد أزال الله الهيكل، لا الشريعة. وحين يتعذر إطاعة الشريعة كاملةً، لا تكون الطاعة الجزئية خيارًا. يجب على العابد أن يكرم الشريعة برفض تعديلها.

الطاعة الرمزية عبادة من صنع البشر

الطاعة الرمزية أشد خطرًا. وهي تحدث عندما يحاول شخص استبدال وصية يتعذر تنفيذها بفعل رمزي صُمم «لإكرام» الشريعة الأصلية. لكن الله لم يأذن ببدائل رمزية. ولم يسمح لإسرائيل باستبدال الذبائح بالصلوات أو الأعياد بالتأملات حين كان الهيكل قائمًا. ولم يسمح بنذور نذير رمزية. ولم يسمح بأعشار رمزية. ولم يقل قط لأحد إن الطقوس الظاهرة يمكن استبدالها بصيغ مبسطة يستطيع البشر أداءها في أي مكان.

إن ابتكار طاعة رمزية يعني التظاهر بأن استحالة الطاعة المادية باغتت الله — وكأن الله يحتاج إلى مساعدتنا كي «نحاكي» ما أزاله هو بنفسه. لكن هذا إساءة إلى الله. فهذا يتعامل مع وصاياه كما لو كانت مرنة، ومع دقته كما لو كانت قابلة للتفاوض، ومع مشيئته كما لو كان لا بد من «مساندتها» بإبداع بشري.

الطاعة الرمزية عصيان لأنها تستبدل بما تكلم به الله شيئًا لم يتكلم به.

عندما تصبح الطاعة مستحيلة، يطلب الله الامتناع لا الاستبدال

عندما أزال الله الهيكل والمذبح والخدمة اللاوية، أعلن أمرًا حاسمًا: لم يعد بالإمكان تنفيذ وصايا معينة. لكنه لم يأذن بشيء ليحل محلها.

والاستجابة الصحيحة لوصية يتعذر إطاعتها جسديًا بسيطة:

الامتناع عن إطاعتها إلى أن يعيد الله وسائل الطاعة.

هذا ليس عصيانًا. بل هو طاعة للحدود التي وضعها الله بنفسه. وهو مخافة الرب التي تُعبَّر عنها بالتواضع وضبط النفس.

إن ابتكار صيغة رمزية للشريعة ليس تواضعًا، بل تمرد متنكّر في هيئة تكريس.

خطر «الصيغ القابلة للتنفيذ»

كثيرًا ما يحاول الدين الحديث ابتكار «صيغ قابلة للتنفيذ» للوصايا التي جعل الله تنفيذها مستحيلًا:

- خدمة عشاء رباني ابتُكرت لتحل محل ذبيحة الفصح
- تبرع مالي بنسبة 10 في المئة يحل محل العُشر الذي حدّده الله
- «تدريبات» على الأعياد تحل محل القرابين المأمور بها في أورشليم
- ممارسات نذير رمزية تحل محل النذر الفعلي
- «تعاليم طهارة» طقسية تحل محل نظام الطهارة الكتابي

تتبع كل واحدة من هذه الممارسات النمط نفسه:

1. أعطى الله وصية دقيقة.
2. أزال الله الهيكل، فجعل الطاعة مستحيلة.
3. ابتكر البشر صيغة معدّلة يستطيعون تنفيذها.
4. وسمّوا ذلك طاعة.

لكن الله لا يقبل بدائل عن وصاياه. فهو لا يقبل إلا الطاعة التي حدّدها هو بنفسه.

إن ابتكار بديل يعني الإيحاء بأن الله أخطأ — وكأنه توقع استمرار الطاعة لكنه لم يحفظ وسائلها. وهذا يجعل براعة البشر حلًا لـ«مشكلة» يُفترض أن الله غفل عنها. إنه إهانة لحكمة الله.

الطاعة اليوم: إكرام الشريعة من دون تغييرها

الموقف الصحيح اليوم هو الموقف نفسه المطلوب في الكتاب المقدس كله: أن نطيع كل ما جعله الله ممكنًا، وأن نرفض تغيير ما لم يجعله ممكنًا.

- نطيع الوصايا التي لا تعتمد على الهيكل.
- نكرم الوصايا التي تعتمد على الهيكل برفض تعديلها.
- نرفض الطاعة الجزئية.
- نرفض الطاعة الرمزية.
- نتقي الله بما يكفي لكي لا نطيع إلا ما أمر به، وبالطريقة التي أمر بها.

هذا هو الإيمان الحقيقي. وهذه هي الطاعة الحقيقية. وكل ما عدا ذلك دين من صنع البشر.

القلب الذي يرتعد لكلمته

يسرّ الله بالعابد الذي يرتعد لكلمته (إشعياء 2:66)، لا بالعابد الذي يعيد تشكيل كلمته لتصبح مناسبة أو ممكنة. فالشخص المتواضع يرفض ابتكار شرائع جديدة لتحل محل تلك التي وضعها الله مؤقتًا بعيدًا عن متناولنا. وهو يدرك أن الطاعة يجب أن تطابق دائمًا الوصية التي تكلم بها الله فعلًا.

إن شريعة الله لا تزال كاملة. لم يُبطَل شيء. لكن لا يمكن إطاعة كل وصية اليوم. والاستجابة الأمينة هي رفض الطاعة الجزئية، ورفض الطاعة الرمزية، وإكرام الشريعة تمامًا كما أعطاها الله.